مَركز الشَّيخ عَلِي الغِريَاني للكِتابْ
Sheikh Ali Al-Gharyani Book Center

www.shabcenter.ly
info@shabcenter.ly

مقال

التنافس الإيطالي الفرنسي على ليبيا.. الدوافع والانعكاسات

أ. زهير عطوف

التنافس الإيطالي الفرنسي على ليبيا.. الدوافع والانعكاسات

دارت حربٌ حامية الوطيس ما بين الجارين الأوروبيين كل من فرنسا وإيطاليا حول النفوذ في ليبيا، وقد عبرت عن ذلك بشكل واضح وزيرة الدفاع الإيطالية «إليزابيتا ترينتا» قاطعةً الشك في هذا الشأن، حيث قالت «لنكن واضحين، القيادة في ليبيا لنا». إذ وجّهت تحذيراتها لفرنسا من التدخل في الشأن الليبي.

بالنسبة لإيطاليا فإن ليبيا تُعتبر أبرز ما تبقى من نفوذها منذ استعمارها لليبيا عام 1911، وبوابتها إلى أفريقيا، ومحطّة أخيرًا للمهاجرين غير الشرعيين قبل ركوبهم البحر المتوسط، وكنزًا استراتيجيا بعيد الأمد، ليس سهلًا أن تخسره أمام فرنسا والأطراف الأخرى الفاعلة في ليبيا.

الصراع التاريخي والدوافع:

الصراع الفرنسي الإيطالي في ليبيا له جذور تاريخية، حيث بدأ منذ كانت إيطاليا ضمن دول المحور التي احتلت فرنسا إبان الحرب العالمية الثانية، لينتقل بعد ذلك التنافس بينهما حول ليبيا، حيث كانت إيطاليا تحتل ليبيا، في حين احتلت فرنسا الجنوب الليبي ما يسمى بإقليم الفزان بعد انهزام إيطاليا على يد الحلفاء.

ومن المعلوم أن الثورة الليبية تم دعمها من مجموعة من دول الجوار والدول العربية كالخليج العربي ومن حلف «النيتو» الذي حسم المعركة لفائدة الثوار ضد آلة القمع لنظام القذافي. وأكثر دولتين أوروبيتين كان لهما دور في الثورة الليبية هما إيطاليا وفرنسا. مما يعني أن التأثير الإيطالي / الفرنسي المعاصر في الملف الليبي ليس مستجدا وإنما بدأ ببداية الثورة الليبية. وفي هذا الإطار شهدت ليبيا صراعا إيطاليا فرنسيا محموما على النفوذ في البلاد وذلك بغاية السيطرة على مقاليد اللعبة السياسية والعسكرية.

من جانب آخر عند الحديث عن الصراع الإيطالي الفرنسي في ليبيا فإننا لا ننفي وجود قوى أخرى إقليمية ودولية لها حضور قوي وفاعل في المشهد الليبي، وهو ما يزيد من تعقيد الأوضاع بفعل تقاطع المصالح وتعارضها بين هذه القوى. حيث ينعكس ذلك على الداخل الليبي في شكل أزمات متفاقمة، وأصبح الفاعلون الليبيون أصحاب القضية وأهلها غير قادرين على التحرك والفعل

خارج إطار مفردات هذا الصراع.

وعند تتبع التنافس الأوروبي حول الملف الليبي نلاحظ وجود قطبين رئيسين يقودان اللعبة على الصعيد الدبلوماسي والعسكري. فبينما تحظى فرنسا بحضور قوى في الجنوب في فزان وتعتبره إرثها التاريخي بليبيا ولديها مصالح هناك تعمد إلى تأمينها، ترغب باريس كذلك في ظل دعمها لخليفة حفتر في مد نفوذها في الشمال والغرب والشرق الليبي، وهو ما أغضب إيطاليا والتي ارتأت في ذلك عدم مراعاة فرنسا لمصالح الدول الأخرى الفاعلة على الأرض وتهميشا لدورها.

حيثيات الرفض الإيطالي للوجود الفرنسي داخل الساحة الليبية تستند كذلك إلى شعور الأولى أنها صاحبة الحق الاول في ليبيا، لذلك لم يكن من السهل عليها القبول بمنافس كفرنسا، نظراً لاعتبارات تاريخية، حيث لا تزال روما ترى في ليبيا منطقة نفوذها الرئيسية والمستعمرة السابقة الأقرب جغرافيا لها.

الصراع بين «إيني» و«طوطال»:

يبدو أن جزءً كبيرا من الصراع الإيطالي / الفرنسي في ليبيا نابع من محاولات شركتي «إيني» الإيطالية و«طوطال» الفرنسية الحصول على أكبر قدر ممكن من الكعكة الليبية. فالتنافس المحموم بين إيطاليا وفرنسا على ليبيا يدور بالدرجة الأولى حول احتياطات الغاز الضخمة، فقد حصدت إيطاليا قبل الثورة الليبية عبر شركاتها الكثير من مغانم القطاع النفطي، وهي بطبيعة الحال لا ترغب في أن تتقاسم معها فرنسا كعكة الثروة النفطية الليبية.

فقد سبق وحصلت إيطاليا على عقود ضخمة عام 2007 لاستثمار الغاز بمنطقة مليتا، غربي البلاد من خلال شركتها العملاقة «إيني»، بينما فازت باريس عام 2010 من خلال شركة «طوطال» بعقد لاستثمار الغاز بحوض نالوت غربي البلاد، والقريب من مليتا، قبل أن يعود القذافي ويلغي العقد مع الشركة الفرنسية «طوطال» بعد جدل قانوني.

ويبدو أن إيطاليا تحاول دون رجوع فرنسا إلى منطقة نالوت، التي تتحدث تقارير أنها تحتوي على مخزون من الغاز يكفي أوروبا لمدة ثلاثين عامًا، علاوة على أن إيطاليا تعتقد أن حصول فرنسا على حوض نالوت سيعزّز من سيطرتها وتأثيرها في ليبيا مما سيجعلها على قمة وهرم الدول المؤثرة في ليبيا وهذا ما لا تريده إيطاليا.

وعلى أساس هذا الصراع الدولي، تولد الدعم لحكومة طرابلس من قبل إيطاليا، بينما اتّجهت فرنسا لدعم خليفة حفتر، الخصم العسكري اللّدود للمجلس في الشرق الليبي. وكانت مصالح شركة «طوطال» الفرنسية في الهلال النفطي، ورغبتها في استرجاع حوض نالوت، أحد الأسباب الرئيسيّة وراء تقديم فرنسا الدعم العسكري والسياسي لحفتر.

انعكاسات التنافس الإيطالي الفرنسي:

إن التاريخ الاستعماري الإيطالي لليبيا وحجم المصالح الكبيرة لإيطاليا في هذا البلد جعلها من أكثر الدول المدركة لطبيعة الأزمة الليبية وتفاصيلها. ومنذ أن غادر حلف النيتو ليبيا بعد سقوط نظام القذافي، تطور الدور الإيطالي مع تطور الأوضاع في السنوات الأولى للثورة، حيث كانت هي اللاعب الاساسي في الملف. وبالتالي كانت إيطاليا ترى نفسها الأقرب لإدارة الملف الليبي، وأمام التواجد الفرنسي في ليبيا ولا سيما في السنوات الأخيرة أصبح الصراع واضحا بينها وبين فرنسا.

كما أن روما تعتبرأن باريس لا يجب لها تجاوز مساحاتها ولعب دور ريادي في بلد يعد منطقة نفوذ جغرافي وتاريخي لإيطاليا، وهو ما يجعل إيطاليا ترفض أي تقدم لفرنسا في ليبيا، لهذا رفضت إيطاليا بقوة مؤتمر باريس عام 2018. مما جعل إيطاليا ترد على فرنسا بعقد مؤتمر جامع حول ليبيا في نفس السنة سمي بمؤتمر «باليرمو»، واندرجت هذه الدعوة الإيطالية للمؤتمر في سياق الصراع على النفوذ بين إيطاليا وفرنسا في ليبيا. لاسيما ان إيطاليا قد اتهمت فرنسا عقب اجتماع باريس بأنها تريد أن تكون الدولة الاوربية الوحيدة المسيطرة في ليبيا.

كما أعربت إيطاليا عن انزعاجها من انعقاد مؤتمر باريس، خاصة أنها لم تعلم به إلا عشية انعقاده. بل الادهى ان مؤتمر باريس لم تحضره إيطاليا بشكل واضح وحضر عنها مندوب من السفارة الإيطالية في باريس فقط.

من جانب آخر يتمثل هدف المشروع الفرنسي بليبيا، في إرساء حكومة تكون قريبة في توجهها من السياسة الفرنسية، إذ سعت فرنسا الى احتكار المشهد السياسي الليبي وتعزيز نفوذها على حساب دول أخرى فاعلة في الملف وفى مقدمتها إيطاليا،لكي تضمن مصالحها في ليبيا. لهذا راهنت فرنسا على خليفة حفتر الذي اعتبرته الحليف القادر على تحقيق أهدافها الإستراتيجية، فدعمته بقوة لوجستيا واستخباراتيا عبر مجموعات عسكرية فرنسية في الشرق الليبي تعمل على دعم ميليشياته. وكذلك دعمته في السيطرة على الهلال النفطي لتجعل منه رقما في المعادلة الليبية لا يمكن تجاوزه. واستعانت فرنسا في استراتيجيتها بدولتي مصر والإمارات في إطار تقاطع المصالح، إلى الحد الذي جعل الرئيس الفرنسي «ماكرون» يتخذ مواقف شبه متطابقة مع سياسات القاهرة وأبو ظبي الداعمة لخليفة حفتر في ليبيا.

في غضون ذلك، حاولت فرنسا استغلال ارتباك إيطاليا في شأنها الداخلي والاستفادة من فترة الفراغ والفوضى السياسية التي عرفتها إيطاليا، من أجل منافسة روما بشكل محموم في ليبيا، هذا الحراك الفرنسي المنفرد في الملف الليبي، أعاد التنافس الإيطالي الفرنسي إلى الواجهة وأثار غضب الجارة الإيطالية واللاعب المحوري بالملف، إذ رأت إيطاليا في الخطوات الفرنسية محاولة لسحب البساط من تحت أقدام روما. لهذا بات التوغل الفرنسي في ليبيا محل قلق وشك من الجانب الإيطالي المنافس.

ختاما الصراع في ليبيا صراع مصالح دولية قبل أن يكون صراعا لمصلحة ليبيا. وهذا ما يجب أن لا تغفل عنه القوى السياسية الليبية التي تتواجد في الواجهة. لكي تتمكن من التعاطي معه من منطق تغليب المصلحة الليبية.

إن الصراع القائم في ليبيا شديد التعقيد وتحكمه عوامل داخلية وخارجية متقاطعة ومتناقضة. فعند تناول التنافس الفرنسي والإيطالي في ليبيا، لا يمكن الحديث عنه بعيدا عن أدوار قوى دولية كروسيا وإقليمية كالإمارات ومصر.

ورغم اشتعال المنافسة بين فرنسا وإيطاليا على الأراضي الليبية، تبدو الغلبة لحد الآن لفرنسا. وقد لعبت هذه الأخيرة على دعم الانقسام داخل ليبيا ودعمت إلى جانب أطرافٍ إقليمية، خليفة حفتر لكي يبسط نفوذه على ليبيا. وفي المحصلة لا النفود الفرنسي ولا الايطالي من شأنه أن يخدم مصلحة الليبيين، بل سيبقى حجر عثرة أمام الاستقرار في ليبيا.